

الأوهين في القرآن الكريم

الدكتور: صالح داسي
أستاذ مساعد بالمعهد الأعلى للحضارة الإسلامية

إن الله تعالى ليس له لون ولا حجم ولا وزن، فهو أجل من أن يعرف بهذه الاعراض. قال تعالى: «الله نور السماوات والأرض» (النور 35). وقال تعالى: «عالم الغيب والشهادة العزيز الرحيم». (السجدة 7). وقال تعالى: «لا يحب الظالمين» (آل عمران 141). هذا الإله هو الحق وما سواه هو الضلال. قال تعالى: «فذلکم الله ربکم الحق فماذا بعد الحق إلا الضلال فأنى تصرفون». (يونس 33). فالله الذي وقعت الإشارة إلى بعض من صفاته علم على الذات العلية، كما أن الله هو اسم الجلالة. قال الليث: «بلغنا أن اسم الله الأكبر هو الله لا إله إلا هو وحده» (1)، كما أن لفظ الله علم للذات الواجب الوجود، المستجمع فيه جميع صفات الكمال وهناك فرق بين إله، والله فإذا قيل الإله انطلق على الله سبحانه وعلى ما يعبد من الأصنام، وإذا قلت الله: لم يطلق إلا عليه سبحانه وتعالى. واستدل البستاني في كتابه البستان في اللغة (بأنه يجوز أن ينادى اسم الله فيقال: يا الله ولا يجوز يا الإله) (2).

وجاء في معجم ألفاظ القرآن الكريم باب حرف الهمزة ما يلي:
«الله اسم للذات الواجب الوجود المعبود الحق. وقد ذكر لفظ الجلالة الله في ألفين وستمئة وسبعة وتسعين موضعا (2697) مختلفة الأعراب» (3) وما

(1) ابن منظور: لسان العرب 87/1.

(2) البستاني: البستان 59/1.

(3) مجمع اللغة العربية ومجمع ألفاظ القرآن الكريم 47/1.

ذكره محمد اسماعيل ابراهيم في كتابه «قاموس الألفاظ والاعلام القرآنية»، يختلف عما جاء في «معجم ألفاظ القرآن الكريم» ولربما اعتبر ذكر اسم الجلالة (الله) في حالة الرفع فقط، وهو قريب مما ذكر حيث أن (الله) في حالة الرفع ذكر 974 مرة وبالكسر (الله) 1131 مرة وبالفتح 991 مرة(4).

اللهم : ومعناه هايا الله(5) .

وتستعمل (اللهم) في الدعاء بدون ياء فالميم التي في آخر اللفظة (بدل من ياء النداء، معناه يا الله، وقيل: معناه يا الله أم بخير فادغم)(6).
قال تعالى: «قل اللهم فاطر السماوات والأرض» (الزمر 46).

والتَّالِيه : يراد به التنسك والتعبد والتأليه التعبد ومنه قول الشاعر:

لله در الغانيات المدة سبّحن واسترجعن من تألهي(7)

ومهما تعددت الصيغ للمدلول اللفظي للألوهية، فإن الله لم يطلق إلا علما على الذات الإلهية دون قرينة، سوى قرينة النداء (يا الله). وقد ألح كفار مكة في سؤالهم الرسول ﷺ عن الله «فنزل قوله تعالى: «الله لا إله إلا هو الحي القيوم لا تأخذه سنة ولا نوم، له ما في السماوات وما في الأرض» (البقرة 255) ولما أعادوا السؤال مرة أخرى، نزل قوله تعالى: «الله نور السماوات والأرض مثل نوره كمشكاة فيها مصباح، المصباح في زجاجة الزجاجة كأنها كوكب دري يوقد من شجرة مباركة زيتونة لا شرقية ولا غربية يكاد زيتها يضيء ولو لم تمسسه نار، نور على نور، يهدي الله لنوره من يشاء ويضرب الامثال للناس والله بكل شيء عليم». (النور 34 . 35)
ولما أعادوا السؤال بإلحاح علّهم يجدون إجابة فيها التجسيم والتعدد الذي ألفوه من قبل أجابهم الله بقوله: (قل هو الله أحد الله الصمد لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفواً أحد) (الاخلاص : 1-4) فالله بهذا الاعتبار مخالف للحوادث، واحد أحد، لا شبيه له ولا نظير. فالله (له وحدة في الذات ووحدة في الأفعال ووحدة في الصفات)(8).

(4) علمي زاده فيض الله الحسيني المقدسي «فتح الرحمن لطالب آيات القرآن».

(5) محمد اسماعيل ابراهيم: قاموس الألفاظ والاعلام القرآنية : 24.

(6) أحمد رضا : معجم متن اللغة 200/1.

(7) ابن منظور : لسان العرب 88/1.

(8) هند شلبي : مشاكل الألوهية من خلال تفسير الرازي. النشرة العلمية للكلية الزيتونية ع 8 السنة

الهجرية 1406/1985 ص 67.

(أ) أسماء الله الحسنى وصفاته

أسماء الله الحسنى تسعة وتسعون قال تعالى: «ولله الأسماء الحسنى فادعوه بها» (الأعراف : 180).

وروى البخاري ومسلم والترمذي عن أبي هريرة عن النبي ﷺ قال: «إن الله تسعة وتسعين إسما من حفظها دخل الجنة، وإن الله وتر يحب الوتر» (9).

فالله سبحانه وتعالى يتصف بجميع صفات الكمال ويتميز عن جميع صفات النقصان، ويرى ابن رشد: (لا يجوز البحث في أن صفات الكمال زائدة عن ذاته تعالى كما فعل المتكلمون من الأشاعرة والمعتزلة فإن الكلام في ذلك بدعة) (10) أما الأشاعرة فيرون أن صفات الكمال زائدة عن الذات فالله عالم بعلم زائد على ذاته ومريد بإرادة زائدة على ذاته.

ويرد عليهم ابن رشد قائلا: (ويلزمهم على هذا أن الخالق جسم، لأنه يكون هناك صفة وموصوف، وحامل ومحمول، وهذه هي حال الجسم. فإن قالوا بأن الصفات قائمة بنفسها لا بالذات لزمهم القول بآلهة متعددة كالنصارى الذين زعموا أن الأقانيم ثلاثة) (11).

كما رد على المعتزلة القائلين أن الذات والصفات شيء واحد قائلا: (إنه قول بعيد عن المعارف الأولى، فإنه يظن أن العلم مثلا غير العالم، وهكذا باقي الصفات) (12)، ولكن ما هو رأي ابن رشد في الصفات. هل هي عين الذات كما قال المعتزلة؟ أم هي زائدة عن ذاته تعالى كما قال الأشاعرة؟

يقول: «ينبغي أن يعلم الجمهور من أمر هذه الصفات ما صرح به الشرع فقط وهو الاعتراف بوجودها وثبوتها لله، دون تفصيل الأمر فيها ذلك التفصيل» (13) فالصفات (لا يمكن إدراكها فيما اتجه إليه المعتزلة أو المتكلمون) (14) فالله واحد بذاته وبصفاته والصفات الإلهية (لا تدرك ماهيتها، كما أنها لا تشبه صفات الممكنات) (15).

(9) محمد زكي صالح: الترتيب والبيان عن تفصيل آي القرآن 95/1، انظر أيضا صحيح البخاري : 168/4.

(10) موسى يوسف موسى : بين الدين والفلسفة : 159.

(11 و12) المرجع السابق ص : 160.

(13) محمد يوسف موسى : بين الدين والفلسفة : 160.

(14 و15) النشرة العلمية للكلية الزيتونية ع 8 ص 1406 : 74.

والقرآن نزه الله سبحانه وتعالى عن المشابهة للحوادث قال تعالى: «ليس كمثل شيء» (الشورى: 19) وقال: «أفمن يخلق كمن لا يخلق» (النحل: 17) فالله عالم ومريد وقادر وسميع وبصير ومتكلم، وحي لكنه منزّه عن صفات النقصان التي تعترى الإنسان، كالموت والنوم والنسيان والغفلة والخطأ. قال تعالى: «لا تأخذه سنة ولا نوم» (البقرة: 255) «وتوكل على الحي الذي لا يموت» (الفرقان: 58) «لا يضل ربي ولا ينسى» (طه 52).
فإنه حي أزلي خالق. قال تعالى: «خلق السماوات والأرض بالحق تعالى الله عما يشركون» (النحل 3).

«أفمن يخلق كمن لا يخلق» (النحل : 17) فالله سبحانه وتعالى:
- عالم بكل شيء ومتعال على كل شيء. قال تعالى: «عالم الغيب والشهادة الكبير المتعال» (الرعد: 9).
- خالق. قال تعالى: «قل هو الله خالق كل شيء وهو الواحد القهار» (الرعد: 17).
- قادر : «ألم تعلم أن الله على كل شيء قدير» (البقرة: 106).
- مالك الملك : «قل اللهم مالك الملك تؤتي الملك من تشاء» (آل عمران: 25).

- قاهر: «وهو القاهر فوق عباده» (الأنعام: 62).
فهو سبحانه وتعالى موجود بذاته. قال تعالى: «الله لا إله إلا هو الحي القيوم» (البقرة: 256). وقال تعالى: «ألم الله لا إله إلا هو الحي القيوم» (آل عمران: 2-1).
فإنه سبحانه وتعالى له صفات معنوية وصفات أفعال وصفات ذاتية. فالمعنوية مثل القدوس: الحشر 23. الجمعة: 1.

السلام : الحشر : 23.

النور : النور : 35 (16) .

ومن صفات الأفعال مثل :

المحيي : فصلت : 39.

المصور : النجم : 24.

المبدئ والمعيد: العنكبوت: 18، البروج: 13.

المميت : الحشر : 23.

الوارث : الحجر : 3.

(16) دائرة المعارف الإسلامية 563/2.

- المحصى : يس : 11، النبأ : 29.
 الباعث والجامع : آل عمران : 7، النساء : 139.
 المقيت : النساء : 87.
 الحافظ : الطارق : 4.
 الملك، مالك الملك، آل عمران : 25.
 الوالي : الرعد : 12.
 المقتدر : الكهف : 43.
 - الجبار : الحشر : 23.
 - الرؤوف : البقرة : 138.
 - الودود : هود : 92، البروج : 14.
 - المنتقم : المائدة : 96.
 - الفتاح : سبا : 25.
 - الوهاب : آل عمران : 6.
 - الرزاق : الذاريات : 58.
 - المجيب : هود : 64.
 المعطي : النساء : 129، طه : 52.
 - الرقيب : النساء : 1.
 - الحسيب : النساء : 88 الاحزاب : 39.
 - الشهيد (ترد كثيرا) - الهادي: (ترد كثيرا) الوكيل (ترد كثيرا) - الولي
 (ترد كثيرا)(17).
 ومن صفاته الذاتية: الحي القيوم (البقرة: 256)، آل عمران: 1.
 - المتعال : الرعد : 10.
 - العلي الواسع: البقرة : 248.
 - القادر : البقرة : 19.
 - الغني : البقرة : 265.
 - الباقي : الرحمن : 27.
 - الصمد : الاخلاص : 2.
 - العزيز الحكيم : يوسف : 39.

(17) دائرة المعارف الإسلامية 266/2.

- العليم : الانعام : 103.

- الخبر (ترد كثيرا في القرآن)(18).

ب) الوجدانية وأدلة الخلق وموضوع العناية: ساقطصر في دراستي

هذه على :

(1) الوجدانية.

(2) الخلق أو (دليل الخلق): أ - خلق العالم.

ب - خلق الانسان.

(3) العناية بما خلق الله.

(4) عدم الشرك بالله.

(1) الوجدانية :

لا يمكن عقلا أن تتعدد الآلهة حول كون يسير بانتظام.

1 - قال الرازي: «إن الفساد ممكن إذا تعددت الآلهة، وقد أجرى الله الممكن مجرى الواقع بناء على الظاهر»(19). فالرازي يرى استحالة بقاء الممكن على ما هو عليه، مع وجود ظاهرة التعدد في الآلهة.

2 - وقال نور الدين الصابوني: فيما رواه عنه صاحب سفينة الراغب: «لو ثبتت الموافقة بينهما - بين الالهين - فهي اما ضرورية فيلزم عجزهما واضطرارهما، أو اختيارية، ويمكن تقدير الخلاف بينهما، فيتحقق الالتزام»(20) فالصابوني تناول ظاهرة الاثنينية، أو الثنائية في افتراض وجود الهين خلقا للعالم ويسيرانه، وقد نفى وجود خالقين نفيا عقليا بالقياس: فالوجود الإلهي يقوم على الوجدانية المطلقة.

أ) الأدلة القرآنية على الوجدانية :

إذا وجد النص القرآني استراح العقل واطمأنت النفس، خاصة فيما لا يكون الافتراض العقلي مجالا له.

1 - قال تعالى: والهكم إله واحد لا إله إلا هو الرحمن الرحيم» (البقرة 163).

2 - وقال تعالى رادا على أهل التثليث من المسيحيين: «ولا تقولوا ثلاثة انتهوا خيرا لكم إنما الله إله واحد» (النساء : 171).

3 - وقال تعالى: «وليعلموا انما هو إله واحد» (إبراهيم : 52).

(18) نفس المصدر 2/262.

(19و20) عباس محمود العقاد: الله ص 262.

- 4 - وقال تعالى: «إلهكم إله واحد» (النحل : 22).
- 5 - «وقال الله لا تتخذوا الهين اثنين إنما هو إله واحد» (النحل : 51).
- 6 - «قل إنما أنا بشر مثلكم يوحى إلي إنما إلهكم إله واحد» (الكهف : 110).
- 7 - «قل إنما يوحى إلي إنما إلهكم إله واحد فهل أنتم مسلمون» (الأنبياء : 108).
- 8 - «فإلهكم إله واحد فله اسلموا» (الحج : 34).
- 9 - «والهنا وإلهكم إله واحد ونحن له مسلمون» (العنكبوت : 46).
- 10 - «إن إلهكم لواحد رب السماوات والأرض وما بينهما» (الصافات : 4).
- 11 - «قل إنما أنا منذر وما من إله إلا الله الواحد القهار» (ص : 65).
- 12 - «سبحانه هو الواحد القهار» (الزمر : 4).
- 13 - «لمن الملك اليوم لله الواحد القهار» (غافر : 16).
- 14 - «قالوا أجتئنا لنعبد الله وحده ونذر ما كان يعبد آباؤنا» (الاعراف : 70).
- 15 - «وإذا ذكرت ربك في القرآن وحده ولوا على أدبارهم نفورا» (الاسراء : 46).
- 16 - «وإذا ذكر الله وحده اشمأزت قلوب الذين لا يؤمنون بالآخرة» (الزمر : 45).
- 17 - «ذلك بأنه إذا دعي الله وحده كفرتم» (غافر : 12).
- 18 - «فلما رأوا بأسنا قالوا آمنا بالله وحده» (غافر : 84).
- 19 - «وبدا بيننا وبينكم العداوة والبغضاء أبدا، حتى تؤمنوا بالله وحده» (المتحنة : 4).
- 20 - «وما أمروا إلا ليعبدوا إلها واحدا لا إله إلا هو» (التوبة : 9).
- فإنه (ليس كمثله شيء) (الشورى : 11) و «له المثل الأعلى» (الروم : 27).

هذه الآيات تضمنت وحدانية الله والدعوة إليه ونفت الاثنينية والتثليث، ودعت إلى التسليم إلى هذه الوجدانية والتفرد؛ فإنه واحد قهار. كما اشتملت هذه الآيات على دور الرسول فما عليه إلا البلاغ والانذار والتسليم، أما الكافرون فقد وقع تصوير حالهم المائل في النفور والاشمئزاز والتجائهم إلى

الله عند الخوف والبأس، وفي النهاية لا لقاء بين الكفر والإيمان لوجود العداوة وعدم التوافق بين الفريقين. فالأدلة على وجود الله وعلى وحدانيته لا تعتمد الدليل العقلي، أكثر من اعتمادها الدليل النصي، المائل فيما سبق ذكره.

ب) ابطال ابن رشد دليلي الجوهر الفرد والممكن الواجب
أبطال ابن رشد في كتابه «مناهج الأدلة» «دليلي الجوهر الفرد» و «الممكن الواجب» رادا بذلك على المعتزلة والأشاعرة وموجها أنظارنا إلى النص القرآني.

قال فيما يتعلق بالدليل الأول «دليل الجوهر الفرد» :
«إن الأشياء المادية تتقلب عليها أحوال تعرض لها، ثم تنتقل منها لتحل مكانها أعراض أخرى من الأشكال والألوان والحركات والنمو والانحدار. وهذه الكائنات تقبل القسمة تدريجيا حتى تنتهي إلى أجزاء لا تتجزأ، وهي التي يطلق الأشاعرة والمعتزلة، على كل جزء منها، اسم الجوهر الفرد، فإذا كانت الجواهر لا تنفك عن الأعراض، وكانت الأعراض حادثة، وجب أن تكون الجواهر حادثة لأن ما لا يخلو من الحوادث فهو حادث. ثم قال: إن مشكلة البرهنة على وجود الله لأكثر يسرا من أن يتخيل المتكلمون لحلها طريق الجوهر الفرد، ولو رجع هؤلاء إلى المصدر الأول لدينهم، أي إلى القرآن، لوجدوا في أدلته غناء» (21).

فالذي نلاحظه، هو ربطه حدوث الجواهر بالأعراض، نتيجة التلازم بينهما كما أنه أثبت الدليل النصي، الذي به يحصل العلم بوجود الله وصفاته، رادا على المعتزلة والأشاعرة الذين جعلوا أن الإيمان بوجود الله، لا يكون إلا بالعقل حيث قال: «اتفق الأشاعرة مع المعتزلة والفلاسفة أيضا في أن الإيمان بوجود الله لا يكون إلا باستخدام العقل والاعتماد عليه» (22).
فأهل الظاهر يقرّون أن العقل لا دخل له في الإيمان، خلافا للمدارس الكلامية التي تقول بالمنهج العقلي.

أما الدليل الثاني الذي أبطله فهو دليل «الممكن الواجب» حيث قال:
«وينحصر في القول بأن العالم بجميع ما فيه، يمكن أن يوجد على حال مختلفة تماما عما هو عليه، فمن الممكن أن تنعكس حركاته رأسا على عقب،

(21) ابن رشد : مناهج الأدلة في عقائد الملة: 11/15.

(22) ابن رشد : مناهج الأدلة : 11.

فتصبح الحركة الشرقية غربية والغربية شرقية... ويقولون إن خروج الجائز إلى حيز الوجود يقتضي تغيرا في الإرادة القديمة، ومن ثم لا بد من القول بحدوث الإرادة، وهم يعجزون عن دفع هذه الشبهة، وهكذا نرى جدلا غير مجد وإبطالا لقوة الإيمان في النفوس؛ وسبب ذلك كله أن المتكلمين يتكلمون عن الإرادة والفعل والإيجاد والخلق بمعانيها الانسانية، فيظنون أن الخلق الإلهي يحتاج إلى زمن ومادة، كالخلق الإنساني، وإن الإرادة الإلهية يمكن أن تتردد بين جائزين كما هي الحال في الإرادة الانسانية...

ثم يقول : ومما يدعو إلى الدهشة حقا أن المتكلمين تركوا أدلة القرآن ولجأوا إلى هذه الأدلة التي تقوم على أساس من الجدل، وتنطوي أحيانا على مماثلة بين العالم الإلهي والعالم الإنساني، فالقرآن لا يتكلم عن إرادة حادثة أو قديمة، ويكتفي بأن يقول إن الله يوجد الأشياء بإرادته، إن فكرة الحدوث أو القدم مرتبة على فكرة الزمن، والزمن نفسه فكرة إنسانية لا سبيل إلى تطبيقها على الإرادة الإلهية»(23).

ففي إبطاله لهذا الدليل اعتمد أمرين. أولهما: الاختلاف بين الإرادة الإلهية والإرادة الإنسانية، فلا تصح عقلا المقارنة بينهما لأن في ذلك مقارنة بين قديم وحادث أو بين مخلوق وخالد.

وثانيهما : أن الفعل الإنساني أو ما يحدثه الإنسان يحتاج إلى زمان في حين أن الزمن فكرة إنسانية لا تنطبق على مسير السماوات والأرض. والذي يهدف إليه ابن رشد من إبطال الدليلين هو توجيه أنظارنا لأمرين أساسيين من أصول الاعتقاد، أولهما: اعتماد الدليل القرآني قبل الدليل العقلي فإذا ما وجد الدليل القرآني قُدِّم على الدليل العقلي. ثانيهما أن الإيمان بالله وبذاته وصفاته وأفعاله يتجاوز منطقة الإدراك العقلي إلى منطقة الإدراك القلبي، فالتصديق مقدم على الاستدلال، وما لم نصل إليه بالاستدلال العقلي، لا ينبغي عدم التسليم به باعتبار أنه لم يقم عليه دليل عقلي، وهذا ما أشار إليه ابن رشد في بداية عرضه لدليل الممكن الواجب حيث قال: «إنه ينسب - أي دليل الممكن الواجب - إلى أبي المعالي، أنه ليس دليلا قرآنيا بل نجده مضادا لأدلة الكتاب الكريم»(24). فالله واحد لا شريك له ولا مثيل. قال تعالى: «لو كان فيهما آلهة إلا الله لفسدتا» (الأنبياء 22)، إنه لم يلد ولم يولد

(23) ابن رشد : مناهج الأدلة : 18.

(24) ابن رشد : مناهج الأدلة : 11-15.

«ما اتخذ الله من ولد وما كان معه من إله إذا لذهب كل إله بما خلق ولعلا بعضهم على بعض، سبحانه الله عما يصفون» (المؤمنون: 91) فالله واحد خالق لم يلد ولم يولد، يختلف عن الحوادث والظواهر والأعراض والمثيل والشبيه.

ج) الآيات المحكمة والآيات المتشابهة :

من يتتبع القرآن في الآيات المتعلقة بالله يجد نوعين من الآيات: آيات محكمة وآيات متشابهة، فالآيات المحكمة هي الآيات التي لا تحتمل التأويل، أما الآيات المتشابهة فهي التي تحتمل التأويل لما فيها من مشابهة للحوادث؛ كآيات التي في ظاهرها معنى التجسيم مثل قوله تعالى: «والسمااء بنيناها بأبيد وإنما لموسعون» (الذاريات 47). ومثل إطلاق كلمة وجه الله، ويراد به رحمته. قال تعالى: «وما تنفقوا من خير فلأنفسكم، وما تنفقون إلا ابتغاء وجه الله وما تنفقوا من خير يوف إليكم وأنتم لا تظلمون» (البقرة: 272) فمن يعبد الله فإنه يريد وجهه. قال تعالى: «واصبر نفسك مع الذين يدعون ربهم بالغداة والعشي يريدون وجهه ولا تعد عيناك عنهم» (الكهف: 28). وقال تعالى: «ذلك خير للذين يريدون وجه الله وأولئك هم المفلحون» (الروم: 38) فكل شيء يفنى ويهلك إلا وجه الله. قال تعالى: «كل شيء هالك إلا وجهه له الحكم وإليه ترجعون» (القصص: 38) وقال تعالى: «كل من عليها فان ويبقى وجه ربك ذو الجلال والإكرام» (الرحمن 27) كما أن قوله تعالى: «الرحمن على العرش استوى» (طه: 5) وقوله: «هو الذي خلق السماوات والأرض في ستة أيام ثم استوى على العرش يعلم ما يلج في الأرض وما يخرج منها...» (الحديد: 4). هذه الآيات التي تبدو في الظاهر من المتشابهة هي التي أثارت الخلاف بين الأشاعرة والمعتزلة وبين أهل الظاهر وما علينا كمسلمين إذا ما وجدنا آيات متشابهة تتعلق بصفات الله إلا أن نلجأ إلى التفويض. تقول الدكتورة هند شلبي: «النتيجة التي نستخلصها أن الإنسان لن يستطيع الوصول إلى إدراك حقيقة الذات ما دام منتهجاً في ذلك طريقته العادية في المعرفة» (25) فالطريقة المثل في الوصول إلى الله «إنما تكون في الفناء عن كل ما سوى الله، بما في ذلك صفاته. وهؤلاء الذين

(25) هند شلبي : مشاكل الألوهية من خلال تفسير الرازي. النشرة العلمية للكلية الزيتونية ع 8 ص 1406 ص 77,76.

ساروا على هذا النحو هم الصوفية وتلك هي طريقة الرازي الأخيرة» (26)، فهناك توافق بين الرازي وابن رشد في أن معرفة الله لا تكون بالاستدلال العقلي، وإنما بالفناء الصوفي، فالعقل عاجز عن إدراك الله، ولا يدل العاجز إلا على العجز.

قال ابن عطاء الاسكندري: (العقل آلة للعبودية لا للإشراق على الربوبية) (27) فلا يمكن أبدا الاعتماد على العقل في الإلهيات وإنما يكون بالاعتماد على النص القرآني في الدرجة الأولى، ثم أحاديث النبي ﷺ التي ثبتت صحتها.

فإنه عنده مفاتيح الغيب لا يعلمها إلا هو. قال تعالى: «وعنده مفاتيح الغيب لا يعلمها إلا هو» (الأنعام: 59)؛ كما أنه المنفرد وحده بما في الصدور. قال تعالى: «وأسرؤا قولكم أو أجهروا به، إنه عليم بذات الصدور» (الملك: 13) فالإيمان بالله يعتمد التسليم أولا ثم التدليل بالنص القرآني ثانيا. يقول الدكتور محسن العابد: «وكما أن من عدم العقل لم يزد السُلطان عزا، كذا من عدم الإيمان لم تزد الرواية حكمة» (28). ف (برهان القرآن على الوحدانية برهان قاطع، وليس برهان خطاب أو إقناع) (29) فالإيمان (بوجود الله ليس منفردا بالذات فحسب، وإنما هو إيمان بتفرد هذه الذات الواحدة بالالهوية).

(2) دليل الخلق :

خلاصته أن الموجودات لا بد لها من موجد. ويتضمن دليل الخلق:
أ - أدلة خلق العالم. ب - أدلة خلق الإنسان.

(أ) أدلة خلق العالم :

1 - قال تعالى: «إن في خلق السماوات والأرض واختلاف الليل والنهار والفلك التي تجري في البحر بما ينفع الناس، وما أنزل الله من السماء من ماء فأحيينا به الأرض بعد موتها وبث فيها من كل دابة وتصريف الرياح والسحاب المسخر بين السماء والأرض لآيات لقوم يعقلون» (البقرة: 164).

(26) هند شلبي: مشاكل الألوهية من خلال تفسير الرازي. النشرة العلمية للكلية الزيتونية ع 8 س 1406 ص 77.76.

(27) المرجع السابق ع 1 س 1391 ص 65.

(28) محسن العابد: مدخل تاريخ الأديان: 169.

(29) العقاد: الله 262/1.

- (2) وقال تعالى: «قل اللهم مالك الملك تؤتي الملك من تشاء وتنزع الملك ممن تشاء وتعز من تشاء وتذل من تشاء بيدك الخير إنك على كل شيء قدير، تولج الليل في النهار وتولج النهار في الليل وتخرج الحي من الميت وتخرج الميت من الحي وترزق من تشاء بغير حساب» (آل عمران 27).
- (3) «الحمد لله الذي خلق السماوات والأرض وجعل الظلمات والنور ثم الذين كفروا بربهم يعدلون» (الأنعام : 1).
- (4) «إن الله فالق الحب والنوى يخرج الحي من الميت ومخرج الميت من الحي ذلكم الله فأنى تؤفكون» (الأنعام: 95).
- فالق الحب والنوى: هو الذي يشقها بعد وضعها في باطن الأرض .
تؤفكون : تصرفون عن الحق إلى الكذب(30).
- (5) «هو الذي أنشأ جنات معروشات وغير معروشات والنخل والزرع مختلفا أكله والزيتون والرمان متشابها وغير متشابه كلوا من ثمره إذا أثمر وآتوا حقه يوم حصاده، ولا تسرفوا إنه لا يحب المسرفين». (الأنعام 141).
- (6) «إن ربكم هو الذي خلق السماوات والأرض في ستة أيام ثم استوى على العرش يغشي الليل النهار يطلبه حثيثا والشمس والقمر والنجوم مسخرات بأمره ألا له الخلق والأمر تبارك الله رب العالمين» (الأعراف 54).
- (7) «إن ربكم هو الذي خلق السماوات والأرض في ستة أيام ثم استوى على العرش يدبر الأمر» (يونس 3).
- (8) «هو الذي جعل الشمس ضياء والقمر نورا وقدره منازل لتعلموا عدد السنين والحساب، ما خلق الله ذلك إلا بالحق يفصل الآيات لقوم يعلمون» (يونس : 5).
- قدره منازل : جعل القمر 28 منزلا تنتهي بانتهاء الشهر القمري في 28 يوما وتزيد يوما أو يومين، لتكملة الشهر، لأن المنازل تزيد قليلا على 28 يوما فتكون 29 في شهر و30 في شهر آخر(31).
- (9) «الله الذي رفع السماوات بغير عمد ترونها ثم استوى على العرش وسخر الشمس والقمر كل يجري لأجل مسمى يدبر الأمر، يفصل الآيات لعلكم بلقاء ربكم توقنون، وهو الذي مد الأرض وجعل فيها رواسي وأنهارا،

(30) القرطبي: الجامع لاحكام القرآن : ج 7 : 44.

(31) محمد زكي صالح : الترتيب والبيان عن تفصيل أي القرآن 29/1.

ومن كل الثمرات جعل فيها زوجين اثنين يُغشي الليل النهارَ إن في ذلك لآيات
لقوم يتفكرون» (الرعد: 3).

10) «الله الذي خلق السماوات والأرض وأنزل من السماء ماء فأخرج به
من الثمرات رزقا لكم وسخر لكم الفلك لتجري في البحر بأمره وسخر لكم
الأنهار، وسخر لكم الشمس والقمر دائبين وسخر لكم الليل والنهار وآتاكم
من كل ما سألتموه وإن تعدوا نعمة الله لا تحصوها إن الإنسان لظلوم
كفار» (إبراهيم: 34).

11) «وما خلقنا السماوات والأرض وما بينهما إلا بالحق وإن الساعة
لآتية، فاصفح الصفح الجميل إن ربك هو الخلاق العليم» (الحجر: 86).

12) «وجعلنا الليل والنهار آيتين فمحونا آية الليل وجعلنا آية النهار
مبصرة لتبتغوا فضلا من ربكم ولتعلموا عدد السنين والحساب وكل شيء
فصلناه تفصيلا» (الإسراء: 12).

13) «ما كان لله أن يتخذ من ولد سبحانه إذا قضى أمرا فإنما يقول له
كن فيكون» (مريم: 35).

14) «وما خلقنا السماء والأرض وما بينهما لاعبين لو أردنا أن نتخذ
لهوا لاتخذناه من لدنا إن كنا فاعلين» (الأنبياء: 17).

15) «ألم تر أن الله يسجد له من في السماوات ومن في الأرض والشمس
والقمر والنجوم والجبال والشجر والدواب وكثير من الناس وكثير حق عليه
العذاب» (الحج: 6).

فأدلة الخلق حسب الآيات التي سبق ذكرها تتناول خلق الكون كله، بما
فيه من سماوات وأرض، وبمن فيهن في ستة أيام، كما أنه تعالى، رفع
السماوات والأرض بغير عمد، فالله سبحانه وتعالى هو المتصرف في
السماوات والأرض؛ يسير الكواكب، وما ينشأ عن ذلك من تحول للأزمنة
والفصول، فهو المسير لما خلق، والآتي بالظلمة الماثلة في الليل، والضياء الماثل
في النهار، هذا الخلق لم يكن لهوا ولا لعبا، وإنما بالحق والحكمة، أرادها الله
سبحانه وتعالى، كما لا يمكننا أن نتصور خضوع الخالق للزمان، فذلك من
متعلقات الإنسان، أما الإله فإن إرادته إذا تعلقت بشيء فإنما يقول له كن
فيكون.

«فالله متفرد بالخلق حيث أنشأ اختراعا كل ما هو كائن، في عالم الغيب
والشهادة، وكل ما يكون فيهما» (32).

(32) عبد المجيد النجار: العقل والسلوك في البنية الإسلامية : 72.

هذه القدرة الخالقة والفاعلة والمسيرة، الماثلة في الله، اعترفت بها كل المخلوقات فسجدت له إيماناً به واعترافاً بفضلِهِ عليها.

ب) أما أدلة خلق الإنسان في القرآن فيمكن معرفة ذلك من خلال أول آية نزلت من القرآن وهي: «اقرأ باسم ربك الذي خلق خلق الإنسان من علق اقرأ وربك الأكرم» (العلق : 1-4) كما ندرك ذلك بالإحاطة ببعض الآيات التالية:

1) قال تعالى: «إن مثل عيسى كمثّل آدم خلقه من تراب ثم قال له كن فيكون» (آل عمران: 59).

2) وقال تعالى: «هو الذي خلقكم من طين ثم قضى أجلاً وأجل مسمى عنده ثم أنتم تمترون» (الأنعام 2). فالإنسان خلق من مادة التراب ومتقوم في وجوده بعنصر الماء. قال تعالى: «وجعلنا من الماء كل شيء حي» (الأنبياء: 30).

أما في الجانب الروحي فالناس جميعاً من نفس واحدة.

3) وقال تعالى: «وهو الذي أنشأكم من نفس واحدة فمستقر ومستودع قد فصلنا الآيات لقوم يعلمون» (الأنعام: 97).

4) «وإذ أخذ ربك من بني آدم من ظهورهم ذريتهم وأشهدهم على أنفسهم ألست بربكم قالوا بلى شهدنا أن تقولوا يوم القيامة إنا كنا عن هذا غافلين» (الأعراف: 172).

5) «هو الذي خلقكم من نفس واحدة وجعل منها زوجها ليسكن إليها» (الأعراف: 189).

6) «خلق الإنسان من نطفة فلإذا هو خصيم مبين والأنعام خلقها لكم فيها دفاء ومنافع ومنها تأكلون ولكم فيها جمال حين تريحون وحين تستريحون» (النحل: 5).

7) قال تعالى: «وخلقناكم أطواراً» (نوح 14)، أي مرحلة بعد مرحلة.

8) «والله أخرجكم من بطون أمهاتكم لا تعلمون شيئاً» (النحل 78).

9) «يا أيها الناس إن كنتم في ريب من البعث فلإنا خلقناكم من تراب ثم من نطفة ثم من علقة ثم من مضغة مخلقة وغير مخلقة لنبين لكم ونقرر في الأرحام ما نشاء إلى أجل مسمى ثم نخرجكم طفلاً ثم لتبلغوا أشدكم ومنكم من يتوفى ومنكم من يرد إلى أرذل العمر» (الحج 5).

10 - «ومن آياته أن خلقكم من تراب ثم إذا أنتم بشر تنتشرون.» (الروم 20).

11 - «الرحمن علم القرآن، خلق الإنسان علمه البيان... خلق الإنسان من صلصال كالفخار وخلق الجان من مارج من نار.» (الرحمن 1-14).

12 - «نحن خلقناكم فلولا تصدقون أفأرأيتم ما تمنون أنتم تخلقونه أم نحن الخالقون.» (الواقعة 59).

13 - «ثم جعل نسله من سلاله من ماء مهين.» (السجدة 9)

14 - «قتل الإنسان ما أكفره من أي شيء خلقه؟ من نطفة خلقه فقدره ثم السبيل يسره ثم أماته فأقبره ثم إذا شاء أنشره.» (عبس 22)

15 - «وصوركم فأحسن صوركم وإليه المصير.» (التغابن 3)

فالإنسان مخلوق من التراب، وهذا الخلق، تم بالنسبة لسلالة ذرية آدم من زوجين، شأنهم في ذلك شأن كل الكائنات. قال تعالى: «ومن كل شيء خلقنا زوجين لعلكم تذكرون» (الذريات 49) وبدليل قوله تعالى: «وخلقناكم أزواجا وجعلنا نومكم سباتا» (النبا 8-9) إلا أن كل شيء «مقوم في وجوده بعنصر الماء» (33).

قال تعالى: «وجعلنا من الماء كل شيء حي» (الأنبياء 75)

فإن الله خلق الإنسان من مادة التراب، تقومت في مراحل خلقها ونموها بالماء، الذي هو أساس يعتمد عليه في النمو أثناء التخلق وبعده.

1) آدم عليه السلام

عاش آدم مرحلتين فترة في عالم الغيب وفترة في عالم الشهادة، لذا فإن ما افترضه داروين وأتباعه من افتراضات نظرية النشوء والارتقاء، هي تتعلق بعالم الشهادة، ولذلك فهي ظنية وليست قطعية؛ لأن آدم خلق من قبل في الجنة ثم هبط إلى الأرض. يقول البهي الخولي: «فآدم في عالم الغيب كان يشاهد الملائكة ويраهم كما كان يشاهد الجن بدليل قوله تعالى: «وعلم آدم الأسماء كلها ثم عرضهم على الملائكة فقال أنبؤوني بأسماء هؤلاء إن كنتم صادقين» (البقرة 31) كما كان آدم يرى الشيطان، وهو من الجن. قال تعالى: «وقاسمهما إني لكما لمن الناصحين» (الأعراف 20) وما يؤكد قوله تعالى: «قل أدلك على شجرة الخلد وملك لا يبلى» (طه 120) فحواس آدم

(33) عبد المجيد النجار : العقل والسلوك في البنية الإسلامية : 75.

وهو بالملأ الأعلى ذات طاقة في الإدراك والابصار والسمع ليست كحواسنا
ثم طرأ عليه تحول بالاكل من الشجرة فهبط الى مستوانا الذي ورثناه منه.»
(34)

فالله من حيث الخلق وشمولية ذلك خالق: الحشر: 24، الانعام: 102
خلّاق: الحجر: 86 يس: 81
وما خلقه كان بالحق: النحل: 43 - الزمر: 2 - 6 - الدخان: 39 -
الاحقاف: 13 (35)

2) خلق الانسان بعد الموت

إنّ خلق الله للإنسان لم يكن متعلقا بالحياة الأولى، وانما يتبعه خلق آخر،
وبعث من جديد، وهذا واضح في قوله تعالى: «كيف تكفرون بالله وكنتم
أمواتا فأحياكم ثم يميتكم ثم يحييكم، ثم إليه ترجعون» (البقرة 28) وفي
قوله أيضا: «إن إلى ربك الرجعى» (العلق 8) فخلق الله للإنسان يمكن
حصره في الجوانب الخمسة التالية:

- 1) النطفة التي تخلق منها الإنسان
- 2) المادة التي تخلقت منها النطفة (من ماء، من تراب)
- 3) تطور النطفة في الأرحام
- 4) نفخ الروح في النطفة بعد تطورها في الأرحام
- 5) تيسير السبيل للخروج من الرحم.

فالله خلق العالم من العدم، ومريد لوجوده وعالم به، بمعنى «ان العالم
وجد عنه من غير ضرورة داعية اليه، لا من ذاته ولا لشيء من خارج، بل
بسبب وجوده وفضله.» (36) وهو ما يؤكد قوله تعالى: «ثم استوى إلى
السماء وهي دخان فقال لها وللأرض ايتيا طوعا أو كرها قالتا أتينا طائعين
(فصلت 11). فالله علة لوجود هذا العالم، إذ لولا وجود الله، لما وجد الكون،
وكل من كان علة لشيء سواء كان انسانا أو حيوانا أو نباتا أو جمادا، فهو
مسير له وفاعل به (فعلى حركة مستوى وحدة هذا العالم فان هذا العالم
متغير باستمرار سواء في نطاق الأقمار. قال تعالى: «لا الشمس ينبغي لها ان
تدرك القمر ولا الليل سابق النهار وكل في فلك يسبحون» (يس 40)، أو في

(34) البهي الخولي: آدم عليه السلام: 144.

(35) دائرة المعارف الاسلامية. م: 410.

(36) ابن رشد: تهافت التهافت: 151.

نطاق الجمادات الأرضية. «وترى الجبال تحسبها جامدة وهي تمر مر السحاب» (النحل 80)، أو في نطاق النباتات. «ثم يخرج به زرعاً مختلفاً ألوانه ثم يهيج فتراه مصفراً، ثم يجعله حطاماً.» (الزمر 21) «فهذا التغير مظهر من مظاهر العالم التي تشهد بوجود الذات الإلهية» (37) ومع هذا التغير الشامل للكون كله ليس فيه تفاوت قال تعالى: «الذي خلق سبع سماوات طباقاً ما ترى في خلق الرحمن من تفاوت فارجع البصر هل ترى من فطور» (الملك 3)، وقال تعالى: «لخلق السماوات والأرض أكبر من خلق الناس ولكن أكثر الناس لا يعلمون» (غافر 57) وما الإنسان إلا خلق مما خلق الله يشمل التغير. قال تعالى: «قتل الإنسان ما أكفره من أي شيء خلقه من نطفة خلقه فقدره، ثم السبيل يسره ثم أماته فأقبره» (عبس 20.17) (هذه الخلائق الكونية مدينة كلها لإرادة عليا هي إرادة الله) (38)، لكن وجودنا ووجود ما يحيط بنا من عوالم كونية، لا يلبث أن يفنى لأن الله أوجده لأجل مسمى. قال تعالى: «وما خلقنا السماوات والأرض وما بينهما إلا بالحق وأجل مسمى» (الاحقاف 11) ففي ذلك إشارة إلى نهاية عالمنا الكوني، وهو ما يؤكد قوله تعالى: «أنا كل شيء خلقناه بقدر وما أمرنا إلا واحدة كلمح البصر» (القمر 50) قال ناصر الدين البيضاوي في بيان قوله تعالى: «إلا واحدة كلمح البصر»: «في اليسر والسرعة» (39). وقيل معناه قوله تعالى: «وما أمر الساعة إلا كلمح البصر أو هو أقرب إن الله على كل شيء قدير.» (النحل 77)

(ج) أدلة الخلق من كتب الحديث النبوي:

يمكن النظر إلى أدلة الخلق من بين الأحاديث التالية:

1 - روى الترمذي عن أبي رزين قال: «قلت يا رسول الله أين كان ربنا قبل أن يخلق خلقه؟ قال كان في عماء ما تحته هواء وما فوقه هواء وخلق عرشه على الماء.

قال يزيد بن هارون: العماء، أي ليس معه شيء.» (40)

2 - روى الترمذي عن عبد الواحد بن سليم قال: «قدمت مكة فلقيت عطاء ابن أبي رباح فقلت له: يا أبا محمد إن أهل البصرة يقولون في القدر، قال يا

(37) عبد المجيد النجار : العقل والسلوك : 76.

(38) النجار : العقل والسلوك : 76.

(39) ناصر الدين البيضاوي : أنوار التنزيل 24/2.

(40) الترمذي : السنن م 5 باب 12 ص 288.

بني أتقرأ القرآن؟ قلت نعم قال: فاقراً الزخرف قال: فقرأت (حم والكتاب المبين إنا جعلناه قرآناً عربياً لعلكم تعقلون وانه في أم الكتاب لدينا لعل حكيم) (الزخرف 3.1) فقال: أتدري ما أم الكتاب؟ قلت الله ورسوله أعلم، قال: فإنه كتاب كتبه الله قبل أن يخلق السماوات وقبل أن يخلق الأرض، فيه ان فرعون من أهل النار وفيه تبت يدا أبي لهب وتب» (41)

وجاء في صحيح البخاري عن طاوس عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: كان النبي ﷺ يدعو في الليل: «اللهم لك الحمد أنت، أنت رب السماوات والأرض لك الحمد أنت قيم السماوات والأرض ومن فيهن، لك الحمد أنت، نور السماوات والأرض، قولك الحق ووعدك الحق، ولقاؤك حق والجنة حق والنار حق، والساعة حق اللهم لك أسلمت، وبك آمنت وعليك توكلت واليك أنبت، وبك خاسمت وإليك حاكمت فاغفر لي ما قدمت وما أخرت وأسررت وأعلنت أنت الهي لا إله لي غيرك» (42) وقد ضرب الله مثلاً لمن يتخذ غير الله إلهاً، بأن هذه المعبودات الباطلة، لا قدرة لها على خلق الذباب، بل هي عاجزة حتى على الدفاع عن نفسها عند مهاجمة الذباب لها. قال تعالى: «يا أيها الناس ضرب مثل فاستمعوا له وان يسلبهم الذباب شيئاً لا يستنقذوه» (43) منه ضعف الطالب والمطلوب ما قدروا الله حق قدره ان الله لقوي عزيز.» (الحج 75)

وبهذا نتبين «أن كل الموجودات ناشئة من عدم، وأن منشئها هو الله تعالى» (44)، الذي خلق كل شيء ففدوه تقديراً.» (الفرقان 2)

د) مناقشة نظرية النشوء والارتقاء

إنها نظرية تعتمد على ثلاث مقولات:

أولاً: الانتخاب الطبيعي

ثانياً: التنازع لأجل البقاء

ثالثاً: البقاء للأصلح

ومعنى النشوء والارتقاء: التطور من البسيط الى المركب (45)

وهي نظرية انبثقت عن علماء الطبيعيات (من علم الاحياء) وظهرت هذه النظرية في القرن (19) منبثقة عن فكرة التحول التي تقول: «ان كل نوع

(41) أبو عيسى الترمذي: السنن م 4 كتاب القدر، باب 18: 458.

(42) أبو عبد الله محمد بن اسماعيل البخاري: الجامع الصحيح.

(43) لا يستردوه.

(44) عبد المجيد النجار: العقل والسلوك في البنية الإسلامية: 74.

(45) محمد فاضل الجمالي: تربية الإنسان الجديد: 51.

مشتق من آخر سابق عليه وهو نفسه مشتق من نوع أبسط منه حتى نصل الى أبسط البساطة المتمثلة في الحيوان الوحيد (La mibe) أو (Le primates) أي الأصلي من (primitif) فالامبيا تطورت الى الاسفنج — إلى الحيوانات الرخوية — ثم إلى الحيوانات القشرية — ثم الفقرية — فالاسماك — فالزواحف — فالطيور — فالثدييات — فالانسان» (46)؛ والإنسان وضع في قسم الرئيسيات لأنه في نظر داروين وانصاره من القرد الإنساني، أو القروء السيمانية، وهو ما يعرف عند علماء الطبيعة بالتطور العضوي. (47)

ونظرية التحول هذه قال بها (1) لامارك (La marck) : ولد بفرنسا (1744م ت 1829م) من مؤلفاته: - دائرة المعارف النباتية

- التاريخ الطبيعي للحيوانات الفقرية.

وهو القائل: (ان عنق الزرافة قد طال لأنها بالمرانة وتوقها الى الغصون العليا طال عنقها) (48).

2) شارل داروين charl Darwin

فيلسوف انجليزي (1809 ت 1882م) كان في بداية حياته يؤمن بنظرية ثبات الأنواع، بمعنى ان النسل ثابت في الزمان والمكان، ولا يعقل ان يكون هناك نوع كان في زمان نوعا آخر، فالقرد كان دوما قردا، يحمل نفس الخصائص التي يعرف بها الآن، وليس القرد نسخة متحولة ومتطورة نتيجة نوع آخر، وهو ما أكدده «شامبان بنشر» (Pincher) بقوله: «انه لا احتمال لتسلسل الانسان من القردة كما نعرفها، لأن القردة منفردة بتركيب خاص يستحيل تشريحا ان يتطور منه تركيب الانسان». (49) الا ان داروين تأثر فيما بعد بنظرية التحول، وهذا التأثر حصل له من سفره الى أمريكا الجنوبية وما لاحظته من التوزيع الجغرافي للأنواع الحية، وعلاقتها بالأنواع المنقرضة، التي دلت عليها الحفريات فتأكد لديه مفهوم التطور لأصل الأنواع، فأصدر في ذلك كتابه «أصل الأنواع» سنة 1859.

(46) أرنست هيجل : فصل المقال في فلسفة النشو والارتقاء : تر. حسن حسري: 211.

(47) تناول البحث في أصل الإنسان إخوان الصفا (الرسالة 10) وابن مسكويه في كتابه: الفوز

الاصغر. أنظر العقاد: القرآن وقضايا الإنسان 301/4.

(48) سلامة موسى : هؤلاء علموني. سلسلة اقرأ. ع 349 مصر 1972، ص 45.

(49) عباس محمود العقاد: القرآن والإنسان م 299.

ونظريته تقوم على أسس أربعة:

- (1) الانتقاء الطبيعي
- (2) التنافس لأجل البقاء
- (3) البقاء للأصلح
- (4) عامل الانتقاء الجنسي

(3) اللورد رسل والاس Lord Russel Wallace (1823 - ت 1913م)
انقليزي كان رحالة طبيعياً على ظهر باخرة يشق بها المحيطات وهو من القائلين بتعدد الأنواع من أثر الانتخاب الطبيعي وعوامل البنية الطبيعية (50) لكن هذه النظرية «نظرية النشوء والارتقاء» لها ما يناقضها حسب علم الحفريات؛ فقد اعتنت معاهد الجيولوجيا بذلك فتم اكتشاف جماجم، وهياكل عظمية للإنسان القديم، أكبر من حجمه الحالي، وهياكل للفيلة والقردة. كما عثر على الإنسان الصيني والجاوي، وعلى فك انسان، الذقن غير بارز والاسنان كبيرة جداً، في قرية (ماور) بألمانيا الاتحادية سنة 1957 كما عثر على آثار لجماجم شبيهة جداً بجمجمة (الشامبانزي) باليمن من الجزيرة العربية، وهذا فيه ما يدل على مسألة المسخ التي شملت أقواماً من بني اسرائيل خالفوا رسول ربهم، فمسخهم الله قردة وخنازير، قال تعالى: «ولقد علمتم الذين اعتدوا منكم في السبت فقلنا لهم كونوا قردة خاسئين» (البقرة 65) أي تجاوزوا الحد بصيدهم السمك، وقد نهوا عنه وهم أهل أيلة، فكانوا وهلكوا بعد ثلاثة أيام (51) وهو ما أكدته الآية من قوله تعالى: «قل هل انبئكم بشر من ذلك مثوبة عند الله من لعنه الله وغضب عليه وجعل منهم القردة والخنازير وعبد الطاغوت اولئك شر مكانا واضل عن سواء السبيل» (المائدة 60) قال البيضاوي في بيان هذه الآية: «هم اليهود أبعدهم الله من رحمته وسخط عليهم بكفرهم وانهماكهم في المعاصي، بعد وضوح الآيات ومسح بعضهم قردة وهم أصحاب السبت، وبعضهم خنازير، وهم كفار أهل مائدة عيسى عليه الصلاة والسلام وقيل: كلا المسخين في أصحاب السبت مسخت شبابهم قردة، ومشايخهم خنازير» (52) وهذا يدل على أن ما

(50) عباس محمود العقاد : القرآن والإنسان م4 : 291. انظر أيضاً : سروة موسى : هؤلاء علموني :

45.

(51) الجلالان : التفسير : 14.

(52) البيضاوي : انوار التنزيل 1/ 156.

عثر عليه، وخاصة في الجزيرة العربية، من جماجم شبيهة بجمجمة الشمبانزي قد تكون جماجم من غضب الله عليهم بالمسخ، فلم يكن الانسان قد نشأ كظاهرة تطورية للقردة وانما خلق خلقا مغايرا للقردة، فإله «إذا أراد شيئا أن يقول له كن فيكون» (يس 82)

يقول: «حال بنقو» رئيس المجمع العلمي الفرنسي: «ان هذه المشابهات بين القرد والإنسان غير كافية للجزم بوجود أصل واحد للإنسان والقرد.» (53) وقال «فرخو»: «انه تبين لنا من الواقع ان بين الانسان والقرد فرقا بعيدا فلا يمكننا ان نحكم بأن الإنسان من سلالة قرد أو غيره.» (54) وقال «أجاسير»: «إن النشوء لا يتم الا وفقا لخطة الهية حكيمة، والاصطفاء الطبيعي إذا ما حل محل الخلق الالهي، فان الانسان يكون قد جرد من روحه وغدا آلة صماء.» (55)

ف (داروين) وأمثاله من أصحاب القول بنظرية النشوء والارتقاء، كانوا من الذين يتبعون الظن في تسليط ذلك على الإنسان فهم ممن يصدق فيهم قوله تعالى: «وما يتبع أكثرهم الا ظنا ان الظن لا يغني من الحق شيئا، ان الله عليم بما يفعلون» (يونس 37) فإله لم يكن في أفعاله خاضعا لسيطرة النمو والارتقاء، فقد خلق آدم من دون أب وأم، وخلق حواء من دون أم، وخلق عيسى من دون أب وفي ذلك توجيه لانظارنا في الخلق الإلهي الذي لا يكون تبعا لما ألفناه. «وكل ما يبدو من نشوء بعض الأشياء من بعض انما هو على سبيل السببية التي ارتضاها الله تعالى سنة للكون في نطاق خالقيته المطلقة.» (56) ولنا في قصص القرآن ما يفيد خلق الله الإنسان بدون نشوء أو ارتقاء، وذلك في قصة الرجل الذي طلب من ربه أن يريه كيف يحيي الموتى. قال تعالى: «أو كالذي مر على قرية (57) وهي خاوية على عروشها قال أنى يحيي هذه الله بعد موتها فأماته الله مائة عام ثم بعثه. قال كم لبثت؟ قال لبثت يوما أو بعض يوم، قال: بل لبثت مائة عام، فانظر الى طعامك وشرابك لم يتسنه» (58) وانظر إلى حمارك ولنجعلك آية للناس وانظر إلى العظام كيف ننشئها ثم نكسوها لحما فلما تبين له قال: اعلم ان الله على شيء قدير»

(53) منار الإسلام ع 9 س 6 رمضان 1401 هـ : 145. مسلم: الفلسفة المادية .

(54) و55) منار الإسلام ع 9 س 6 ، 144 ، 145 نسلم: الفلسفة المادية.

(56) عبد المجيد النجار: العقل والسلوك في البنية الإسلامية: 72.

(57) القرية : بيت المقدس.

(58) لم يتغير مع طول الزمان. الطعام الذي كان معه (تين وعصير وعنب). انظر ابن كثير م 214/1.

(البقرة : 260). قال ابن كثير فيما رواه عن مجاهد بن جبر: (الرجل الذي مر بالقرية رجل من بني إسرائيل، وأما القرية فالمشهور أنها بيت المقدس مرَّ عليها بعد تخريب بختنصر لها وقتل أهلها)(59).

هذه الآيات تبين لنا بجلاء خلق الله للإنسان، فهو خلق غير خاضع للنشوء والتطور المعهود في عالمنا، وفقا لقدرتنا، وخلق الله للإنسان ينبغي أن ننظر إليه من ناحيتين:

(1) خلق الله للإنسان الأول آدم.

(2) مراحل نمو هذه السلالة في الرحم.

- فمرحلة خلق الله للإنسان سبقت باستشارة الله للملائكة. قال تعالى: «وإذ قال ربك للملائكة إني جاعل في الأرض خليفة، قالوا أتجعل فيها من يفسد فيها ويسفك الدماء، ونحن نسبح بحمدك ونقدس لك. قال إني أعلم ما لا تعلمون» (البقرة : 30).

قال البيضاوي: «إن خلق آدم وإكرامه وتفضيله على الملائكة بأن أمرهم بالسجود له إنعام يعم ذريته»(60).

كما أنها اقترنت بنفخ روح الله فيه قال تعالى: «إذ قال ربك للملائكة إني خالق بشرا من طين فإذا سويته ونفخت فيه من روحي فقعوا له ساجدين»(61). (ص72-73)

هنا تم العنصر المادي مع الروحاني.

- أما مراحل نمو سلالة آدم وذريته في الرحم فإنها مرت بمراحل، قال تعالى: «ولقد خلقنا الإنسان من سلالة من طين، ثم جعلناه نطفة في قرار مكين، ثم خلقنا النطفة علقة، فخلقنا العلقة مضغة، فخلقنا المضغة عظاما فكسونا العظام لحما، ثم أنشأناه خلقا آخر، فتبارك الله أحسن الخالقين، ثم إنكم بعد ذلك لميتون، ثم إنكم يوم القيامة تبعثون» (المؤمنون : 12-16).

هذا الخلق الإنساني المائل في نموه وتطوره في الرحم، دلت عليه آيات في القرآن، كشفت عن المادة التي تطور منها هذا الخلق، وكشفت أيضا عن تغير المادة أثناء تخلقها في الأرحام.

فالإنسان خلق من ماء ومن طين.

(59) ابن كثير : تفسير القرآن العظيم م 214/1.

(60) ناصر الدين البيضاوي : أنوار التنزيل 22/1.

(61) ص 72 ، 73.

قال تعالى: «وجعلنا من الماء كل شيء حي» (الأنبياء : 31).
فلإن كانت هذه الآية عامة فهناك آية خاصة بالإنسان ذاته. قال تعالى:
«ثم جعل نسله من سلاله من ماء مهين» (الم السجدة : 8)، وما أكده
قوله تعالى: «الم نخلقكم من ماء مهين» (المرسلات : 20). وما هذا الماء؟ قال
فيه تعالى: «خلق من ماء دافق يخرج من بين الصلب والترائب»
(الطارق : 6-7).

إلا أن هذه المادة التي يغلب عليها الماء كانت من طين.
قال تعالى: «فاستفتهم أهم أشد خلقا أم من خلقنا إنا خلقناهم من طين
لازب» (62)، (الصافات : 12).

فالماء تغير فصار لازبا، ثم أصبح هذا الطين اللازب صلصالا. قال تعالى:
«ولقد خلقنا الإنسان من صلصال من حمأ مسنون» (الحجر : 27).
فالطين والصلصال والحمأ هي عناصر ترابية، والإنسان خلق من تراب
شامل لمختلف هذه العناصر.

قال تعالى: «إن مثل عيسى عند الله كمثل آدم خلقه من تراب ثم قال له
كن فيكون» (آل عمران : 59).

وذرية آدم خلقت بدورها من مادة التراب.
قال تعالى: «يا أيها الناس إن كنتم في ريب من البعث فلإننا خلقناكم من
تراب» (الحج : 6).

فآدم وذريته خلقوا من ماء، ومن تراب، ومن طين، ومن صلصال
كالفخار إلا أن أبا البشر خلقه الله في عالم الغيب، ثم نفخ فيه من روحه وأمر
الملائكة بالسجود له، هذا الخلق كله ما كان في عالم المشاهدة وإنما كان في
عالم غيبي، عن عالمنا بدليل قوله تعالى: «وقلنا يا آدم اسكن أنت وزوجك
الجنة وكلا منها رغدا حيث شئتما ولا تقربا هذه الشجرة فتكونا من
الظالمين فأزلهما الشيطان عنها فأخرجهما مما كانا فيه، وقلنا اهبطوا
بعضكم لبعض عدو ولكم في الأرض مستقر ومتاع إلى حين» (البقرة :
35-36). أما ذرية آدم فإنها خلقت في عالم المشاهدة، من نقطة متكونة من
عناصر ترابية وماء، تكونت في الرحم ومرت بأطوار. قال تعالى: «هو أعلم
بكم إذ أنشأكم من الأرض وإذ أنتم أجنة في بطون أمهاتكم فلا تزكوا

(62) لازب : لازم يلصق باليد.

أنفسكم هو أهلهم بمن اتقى» (النجم : 33) فالإنسان خلقه الله من مادة وروح، من أصل خلق في عالم الغيب. قال سبنسر: (فنحن مرغمون على الاعتراف بأننا لا نستطيع إدراك الحياة، بجوهرها أو ماهيتها، بمصطلحات فيزيائية - كيميائية)(63) بل هناك خلق للإنسان جديد. قال تعالى: «بل هم في لبس من خلق جديد» (ق : 16).

الفصل الخامس

عناية الله بالإنسان

يمكن تناولها من حيث :

- 1 - خلقه وتكامل أعضائه.
- 2 - الاستخلاف، وسجود الملائكة لآدم.
- 3 - تسخير الكائنات.
- 4 - العقل .
- 5 - إرسال الرسل.
- 6 - رفع الحرج.
- 7 - التوبة ومغفرة الذنوب بشرط عدم الشرك.
- 8 - الموارد والدفن.

أ) تكامل أعضاء الإنسان وخلق في أحسن تقويم

قال تعالى: لقد خلقنا الإنسان في أحسن تقويم. (التين 5) فساوى سبحانه وتعالى بين أعضائه. قال تعالى:

«الذي خلقك فسواك فعدلك في أي صورة ما شاء ركبك» (الانفطار : 8-9). فإله خلق الخلق الانساني في أحسن صورة بدليل قوله تعالى: «وصوركم فأحسن صوركم» (المؤمن 64 - التغابن 3) .
كما أن أعضاءه كانت متناسقة ومتكاملة. قال تعالى: «ألم يك نطفة من مني يمنى، ثم كان علقه فخلق فسوى فجعل منه الزوجين الذكر والأنثى» (القيامة : 37-39).

(63) ويل ديورانت : قصة الفلسفة (تر.) أحمد الشيباني : 650.

ب) استخلاف الله للإنسان وسجود الملائكة له :
خاطب الله الملائكة بأنه جاعل في الأرض خليفة.
قال تعالى: «وإذ قال ربك للملائكة إني جاعل في الأرض خليفة»
(البقرة: 27).

كما أن هذه الخلافة لم تكن مقتصرة على آدم أبي البشر بل هي منسحبة على ذريته بدليل قوله تعالى: «وهو الذي جعلكم خلائف الأرض ورفع بعضكم فوق بعض درجات» (الأنعام : 165). وقال تعالى: «هو الذي جعلكم خلائف في الأرض» (فاطر : 39). فمن آمن وعمل صالحا استحق من الله البشارة بالرضاء، عن هذا الاستخلاف المرضي عنه. قال تعالى: «ولقد كتبنا في الزبور من بعد الذكر أن الأرض يرثها عبادي الصالحون، إن في هذا لبالغا لقوم عابدين» (الأنبياء : 106-107) هذا الاستخلاف ألزم به الله الانسان، نتيجة تشريفه له بالروح والسجود له من بقية الملائكة السابقة لوجوده. قال تعالى: «فإذا سويته ونفخت فيه من روحي فقعوا له ساجدين فسجد الملائكة كلهم أجمعون إلا إبليس أبى أن يكون مع الساجدين» (الحجر 31-32 ص: 72)؛ فلم يكرم الله الانسان إكراما مجردا من تبعية العمل المشروط بالإيمان والصلاح، وإنما اتبع ذلك بتسخير الكائنات له.

ج) تسخير الكائنات من الله للإنسان
هذا التسخير فيه الاختيار العلمي المباشر، الموافق للشرعية بشرط القدرة والتعقل والتخير.

قال تعالى: «ألم تر أن الله سخر لكم ما في الأرض» (الحج 65).
كما سخر لنا ما في السماوات والأرض. قال تعالى: «ألم تروا أن الله سخر لكم ما في السماوات وما في الأرض وأسبغ عليكم نعمه ظاهرة وباطنة. ومن الناس من يجادل في الله بغير علم ولا هدى ولا كتاب منير» (لقمان 20)؛ كما سخر لنا الفلك والبحار والأنهار والشمس والقمر والليل والنهار. قال تعالى: «وسخر لكم الشمس والقمر دائيين وسخر لكم الليل والنهار، وآتاكم من كل ما سألتموه، وإن تعدوا نعمة الله لا تحصوها إن الإنسان لظلوم كفار» (إبراهيم 34).

فتسخير الكائنات فيها شمولية النعمة الممنوحة للإنسان.
قال تعالى : «ألم نجعل الأرض مهادا والجبـال أوتادا وخلقناكم أزواجا وجعلنا نومكم سباتا... الخ» (النبا : 6-17).

فإذا ما اعترضت هذا الخليفة المسؤول صعوبة فيما استخلف فيه، طلب المستخلف ليعينه. قال تعالى: «ادعوني استجب لكم» (غافر : 60).
لكن بشرط الإيمان والتقوى قال تعالى: «ومن يتق الله يجعل له مخرجاً ويرزقه من حيث لا يحتسب» (الطلاق : 3)؛ أما من كان كافراً بربه معرضاً عن شريعته فإن دعاءه مردود. قال تعالى: «وما دعاء الكافرين إلا في ضلال» (غافر : 50).

وهذا الرد والرفض مقرون بيوم القيامة، أما في الدنيا فمن رحمته بمن خلق انه يقبل دعاءهم حتى لا يكون لهم في رد دعائهم حجة.

د) العقل :

ميز الله الإنسان عن بقية الكائنات بالعقل، فدعاه إلى استخدامه والاستفادة منه. قال تعالى: «إن في ذلك لآية لقوم يعقلون» (النحل : 67).
- وقال تعالى : «ومن نعمه ننكسه في الخلق أفلا يعقلون» (يس : 68).

هـ) إرسال الرسل :

ومن مظاهر عناية الله بالإنسان أنه لم يتركه هملاً كما يدعي الفلاسفة الماديون أو الوجوديون، بل تعهده بالكتب السماوية، لكي ينير له الصراط المستقيم. قال تعالى: «وما كنا معذبين حتى نبعث رسولا» (الاسراء : 15).
وقال تعالى: «قد جاءكم من الله نور وكتاب مبين» (المائدة : 15)..

و) رفع الحرج :

فإذا ما عجز الإنسان عن أداء دوره في الحياة بمرض، أو سبب من الاسباب، كالإكراه فإنه غير مسؤول على ذلك بصريح قوله تعالى: «ليس على الأعمى حرج ولا على الأعرج حرج ولا على المريض حرج» (الفتح : 17).
وقال ﷺ : «إن الله تجاوز عن أمتي الخطأ والنسيان وما استكرهوا عليه» (64).

ز) التوبة والمغفرة :

يقول فلييب حتي : «والخطيئة اما أن تكون خلقية، أو في الشعائر. وأسوأ الذنوب والوحيد بينها، الذي لا يغفر هو الشرك أو إشراك آلهة أخرى مع الواحد الحق» (65).

(64) ابن ماجه : ج 1 كتاب الطلاق باب 659/16.

(65) فلييب حتي : تاريخ العرب (مطول) 25 : 160.

وهذا ما نجده واضحاً في قوله تعالى: «إن الله لا يغفر أن يشرك به ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء، ومن يشرك بالله فقد ضلّ ضلالاً بعيداً» (النساء : 116) .

وقال تعالى : «انكم وما تعبدون من دون الله حصب جهنم أنتم لها واردون» (الأنبياء : 99). وقال تعالى: «يوم يناديهم فيقول أين شركائي الذين كنتم تزعمون» (القصص : 63). أما من مات وقد آمن وتاب وعمل صالحاً، فإن الله سبحانه وتعالى يقبل توبته بدليل قوله: «وإني لغفار لمن تاب وآمن وعمل صالحاً ثم اهتدى» (طه : 83). ومن أراد الوقوف على الآيات الدالة على عناية الله سبحانه وتعالى بعباده فليُنظر ذلك في السور التالية :

- النحل : 6 ، 7 ، 65 ، 78 ، 79.

- المؤمنون : 17 ، 78 .

- الفرقان : 47.

- النمل : 64 .

- العنكبوت : 60 .

- الروم : 21 - يس : 33 - الزمر : 6 - غافر : 61 - 81 - الشورى : 28 - الزخرف : 10 - الجاثية : 13 - الذاريات : 47 - النبأ : 6-16 - عبس : 24 .

إلا أن هذا الكائن الآدمي، وجوده منته بالموت، فلا بقاء إلا لله سبحانه وتعالى. قال الله في كتابه الكريم: (كل نفس ذائقة الموت ثم إلينا ترجعون) (العنكبوت : 57) ولما كان الموت محتوماً على بني الإنسان بصفة خاصة، وعلى بقية الحيوانات والنباتات، جاء الأمر بالدفن كتتمة لتكريم الله للإنسان في عالم المشاهدة.

ح) المواراة والدفن

أنعم الله علينا بنعمة الدفن لمن مات بأي سبب من الأسباب. قال تعالى: «فبعث الله غراباً يبحث في الأرض ليريه كيف يواري سوءة أخيه قال: يا ويلتى أعجزت أن أكون مثل هذا الغراب فأواري سوءة أخي، فأصبح من النادمين» (المائدة : 35). وكما امتن الله على عباده بنعمة الخلق والخروج من الرحم، وبالحياة الدنيا امتن عليهم بالدفن بدليل قوله تعالى: «قتل الإنسان ما أكفره من أي شيء خلقه من نطفة خلقه فقدره ثم السبيل يسره،

ثم أماته فأقبره» (عبس : 18-22) واستنتج جلال الدين السيوطي من هذه الآية «وجوب دفن الميت» (66) وذهب الطبري في تفسيره قوله تعالى: «ثم أماته فأقبره» إلى القول «صيره ذا قبر والقابر هو الدافن الميت. والمقبر هو الله الذي أمر عباده أن يقبروه بعد وفاته فصيره ذا قبر» (67). فالحمد لله سبحانه وتعالى أنشأنا من الأرض واستعمرنا فيها فلا يطلب منا إلا عبادته والاستغفار حتى نفوز بنعيم أخرى في عالم الغيب. قال تعالى: «هو أنشأكم من الأرض واستعمركم فيها فاستغفروا ثم توبوا إليه إن ربي قريب مجيب» (هود : 61) إلا أن هذا الخلق والتكليف لم يكونا وقفا على الإنسان، وإنما يشاركه فيها الجن. قال تعالى: «وما خلقت الجن والإنس إلا ليعبدون» (الذاريات 56).

2) خلق الجن :

سأتناوله من حيث : مادته، تكليفه، التحدي، الحساب والعقاب.

أ) خلق الله الجن من مادة مغايرة للحما المسنون وللصلصال، التي تخلق منها الإنسان، فقد خلق الله الجان من مارج من نار. قال تعالى: «خلق الإنسان من صلصال كالفخار، وخلق الجان من مارج من نار» (الرحمن : 15-16). قال ابن كثير: (المراد بالمارج من نار: هو طرف لهبها. وأورد حديثاً عن عائشة قالت: قال رسول الله ﷺ : «خلقت الملائكة من نور، وخلق الجان من مارج من نار وخلق آدم مما وصف لكم» (68) رواه مسلم. قال تعالى: «ولقد خلقنا الإنسان من صلصال من حمأ مسنون والجان خلقناه من قبل من نار السموم» (الحجر 26-27)، إلا أن الجان يرانا من حيث لا نراه. قال تعالى: «إنه يراكم هو وقبيله من حيث لا ترونهم (الاعراف : 26). كما أن الجن يتناسل مثلنا. قال تعالى: «أفنتخذونه وذريته أولياء من دوني: (الكهف : 50).

ب) التكليف :

قال تعالى: «وما خلقت الجن والإنس إلا ليعبدون» (الذاريات : 56) فكما أن الإنسان مكلف بالإيمان برسالة محمد ﷺ، فإن الجن مكلف أيضاً. قال تعالى: «قل أوحى إلي إنه استمع نفر من الجن فقالوا إنا سمعنا قرأنا عجبا

(66) جلال الدين السيوطي: الاكلیل فی استنباط التنزیل: 220.

(67) ابن جریر الطبری : جامع البیان 36/30.

(68) ابن كثير : تفسير القرآن العظيم 271/4.

يهدي إلى الرشد فأمننا به ولن نشرك بربنا أحدا وإنه تعالى جد ربنا ما اتخذ صاحبة ولا ولدا» (الجن : 1-4) وبديل قوله تعالى : «وإذ صرفنا إليك نفرا من الجن يستمعون القرآن فلما حضروه قالوا انصتوا فلما قضي ولوا إلى قومهم منذرين» (الاحقاف : 29 وما بعدها).

ج) التحدي المشترك مع الإنس :

لو لم يكن الجن مكلفا مثلنا لما شمله التحدي. قال تعالى: «قل لئن اجتمعت الإنس والجن على أن يأتوا بمثل هذا القرآن لا يأتون بمثله ولو كان بعضهم لبعض ظهيرا» (الإسراء : 88).

وهذا التحدي لم يكن متعلقا بالإتيان بمثل هذا القرآن، بل كان متعلقا أيضا بالجانب السلبي في الظواهر الكونية. قال تعالى: «يا معشر الجن والإنس إن استطعتم أن تنفذوا من أقطار السماوات والأرض فانفذوا لا تنفذون إلا بسلطان» (الرحمن : 33) وهذا ما يؤكد أن الجن مخلوقات متعايشة في هذا الكون معنا، ومطلوب منها أن تعمل ما في وسعها، للوقوف على الأسرار الكونية مثلنا، فيما يحيط بنا جميعا.

د) الجزاء والعقاب :

إن الجن سيحيا ويحاسب مثلنا فريق في الجن وفريق في السعير قال تعالى : «ويوم يحشرهم جميعا يا معشر الجن قد استكثرتم من الإنس وقال أولياؤهم من الإنس ربنا استمتع بعضنا ببعض وبلغنا أجلنا الذي أجلت لنا قال النار مثواكم خالدين فيها إلا ما شاء الله إن ربك حكيم عليم» (الأنعام : 128). وقال تعالى: «يا معشر الجن والإنس ألم يأتكم رسل منكم يقصون عليكم آياتي وينذرونكم لقاء يومكم هذا، قالوا شهدنا على أنفسنا وغرتهم الحياة الدنيا وشهدوا على أنفسهم أنهم كانوا كافرين» (الأنعام : 130). ومعنى هذا أن هناك ابتلاء بين الجن والإنس، وغواية من أحدهما للآخر إلا أنه لا تزر وازرة وزر أخرى بديل قوله تعالى: «وإنه كان يقول سفيها على الله شططا وإننا ظننا أن لن نقول الإنس والجن على الله كذبا وإنه كان رجال من الإنس يعوذون برجال من الجن فزادوهم رهقا، وانهم ظنوا كما ظننتم أن لن يبعث الله أحدا» (الجن : 5-6). وفسر الطبري السفية بكونه إبليس (69) إلا أن الإيمان بالجن لم يكن ركنا من أركان الإيمان، وإنما هو من متعلقات

(69) ابن جرير الطبري : جامع البيان 29/67.

التصديق بما جاء في القرآن. قال محمود شلتوت في كتابه «الإسلام عقيدة وشريعة» : «ومما ينبغي التنبيه له أن القرآن مع كثرة ما تحدث به عن الجن لم يجعل الإيمان به عقيدة من عقائد الإسلام كما جعل الملائكة، وإنما تحدث عنهم فقط كما تحدث عن الإنسان... إذن فالتصديق بوجودهم من مقتضيات التصديق بالقرآن وصدقه في كل ما حدث عنهم» (70).

والذي ندركه أن الله خلق الملائكة من نور وخلق الجان من نار وخلق آدم من تراب، وخلق الكون قبل أن يخلق الجن والإنس.

قال تعالى: «الذي أحسن كل شيء خلقه، وبدا خلق الإنسان من طين ثم جعل نسله من سلالة من ماء مهين» (الم السجدة : 8-7).

وبدليل قوله تعالى: «الله الذي خلق السماوات والأرض وما بينهما في ستة أيام ثم استوى على العرش مالكم من دونه من ولي ولا شفيع أ فلا تتذكرون» (الم السجدة : 4) وقال تعالى: «والأرض مددناها وألقينا فيها رواسي وأنبتنا فيها من كل شيء موزون» (الحجر : 19) فالله خلق الكون بما فيه من ماء ونبات وكائنات قبل الإنسان.

وخلق الملائكة قبل الإنسان بدليل قوله تعالى: «وإذ قال ربك للملائكة إني جاعل في الأرض خليفة قالوا أتجعل فيها من يفسد فيها ويسفك الدماء ونحن نسبح بحمدك ونقدس لك؟ قال إني أعلم ما لا تعلمون» (البقرة : 30).

كما خلق الله الجن قبل الإنسان. قال تعالى: «وإذ قلنا للملائكة اسجدوا لآدم فسجدوا إلا إبليس أبى واستكبر وكان من الكافرين» (البقرة : 34).

قال تعالى: «إلا إبليس كان من الجن ففسق عن أمر ربه» (الكهف : 50). كما أن هناك شياطين من الإنس والجن قال تعالى: «وكذلك جعلنا لكل نبي عدوا شياطين الإنس والجن يوحي بعضهم إلى بعض زخرف القول غرورا» (الانعام : 112) فالجن مسئول مثلنا، ومكلف بالإيمان، ومحاسب معنا.

(70) محمود شلتوت : الإسلام عقيدة وشريعة : 46.

الخاتمة

إذا أمعنا النظر في القرآن الكريم، وجدنا في مختلف سوره وآياته، عناية الله بالإنسان، فقد كفاه عناية البحث المطلق في المجهول، بأن أرسل إليه رسلا، وأنزل عليهم كتباً، توجه الناس إلى المعبود الحق، ويختلف القرآن عن الكتب السماوية السابقة بشمولية دعوته للناس كافة، واستمرارية هدايته وتضمنه التوحيد الذي كان بالصحف الأولى. قال تعالى: «إن هذا لفي الصحف الأولى صحف إبراهيم وموسى» (سورة الأعلى : 18-19).

ومن خلال إعادة النظر في الذكر الحكيم، وجدت أن الله تعالى وجه أنظار الناس إلى الكون، كميدان عملي به يهتدون إلى الخالق والمسير، وفي ذلك توجيه للملكات الحسية والعقلية للبحث والتدبر، لكن دونما إغراق في التفكير الماورائي المجرد، على اعتبار أن الإيمان يتعلق أيضاً بما هو غيبي. لذلك أوضحت العلاقة بين الإيمان والعقيدة في ظل التوحيد، وكشفت عن الخصائص المميزة للإيمان عن العقيدة وللتوحيد عن العقيدة. لأن علم العقائد يتناول العقائد كلها صحيحها وباطلها. أما علم التوحيد فلا يختص إلا بالله ذاتا وصفات. كما يشمل كل الرسل الذين أرسلهم لتوجيه الناس نحو وحدانيته. فقد يبدو لأول وهلة أنه لا تباين بينها، ولكن الدراسات الإسلامية كشفت عن خصائص كل منها.

هذا وإن الطرق إلى معرفة الله تعالى تكون إما بالنص أو العقل أو الذوق، لذلك جاء منهج الرسل عليهم السلام في الدعوة إلى الله، يخاطب ملكات الإنسان الحسية والعقلية والذوقية معا. فالقرآن دعا الناس إلى استخدام ملكاتهم كلها، للوصول إلى معرفة الله، كما أن الرسل عليهم الصلاة والسلام اتبعوا في دعوتهم إلى الله، سبيل الحكمة والموعظة الحسنة، والمجادلة بالتي هي أحسن استحياء من قوله تعالى: «وجادلهم بالتي هي أحسن» (النحل : 125) فما بعدوا عن منهج التذكير، بالميثاق الذي عاهدت به الانفس ربها، عندما كانت في الرحم. قال تعالى: «وإذ أخذ ربك من بني آدم من ظهورهم ذريتهم وأشهدهم على أنفسهم ألست بربكم قالوا بلى شهدنا...» (الأعراف : 172).

فكان من نتائج استحكام هذا الترابط، بين التأمل في الملكوت، وبين أدبيات الدعوة والدعاة إلى الله، أن تنحى الكثير عن الشرك ولولوا وجوههم شطر

الإله الاحد، فلا يمكن بحال أبدا أن يكون المخلوق محل عبادة كالخالق، وإلى هذا أشار سبحانه وتعالى بقوله: «أفمن يخلق كمن لا يخلق أفلا تذكرون» (النحل : 17).

مع الإشارة إلى أن الكون المسخر من الله يقود الإنسان، بعد استخدامه ملكات التأمل، وبذل جهوده كلها للاستفادة والاستثمار والتعمير، إلى توحيد الله لأن حسن الانتفاع من كل ما خلق يوطّد معنى الاستخلاف للإنسان في الأرض.

قال تعالى: «إن الأرض يرثها عبادي الصالحون ان في هذا لبلاغا لقوم عابدين» (الأنبياء : 105-106).

اللهم اجعلنا من (الذين لا يدعون مع الله إلها آخر...) (الفرقان : 68).
صدق الله العظيم. والله ورسوله أعلم

فهرس المصادر والمراجع

- أ -

- الاصفهاني أبو الفرج : الاغانى ط . بولاق مصر 1285/1968.
- أحمد خليل (بحث) العقيدة الإسلامية وأثرها في تحقيق النصر (مج) منار الاسلام ع 6 س 8 جمادى 2 ، 1403.
- أحمد رضا : معجم متن اللغة ط . بيروت 1377/1958.
- أرنست هيكل : فصل المقال في فلسفة النشوء والارتقاء (تر.) حسن حسين ط 2 مصر 1322/1924.

- ب -

- البخاري أبو عبد الله محمد بن اسماعيل: الجامع الصحيح ط 1 مصر 1346/1927.
- البستاني عبد الله : البستان ط. بيروت 1927.
- بكير أحمد (محمود) : (بحث) الله في العقيدة الإسلامية (مج) النشرة العلمية للكلية الزيتونية س 1 ع 11 ص 139/1971.
- البهي الخولي: آدم عليه السلام ط . القاهرة 1372/1952.
- البهي محمد : الجانب الإلهي في التفكير الديني ط 1 القاهرة 1366/1947.
- البيضاوي ناصر الدين : أنوار التنزيل وأسرار التأويل ط القاهرة 1966.

- ت -

- الترمذي أبو عيسى محمد بن سورة : السنن ط بيروت لبنان.
- التفتازاني سعد الدين : المقاصد في علم الكلام ط . الاستانة.

- ج -

- الجلالان : جلال الدين السيوطي، وجمال الدين المحلي: التفسير، ط لبنان 1971.

- ح -

- ابن حزم الاندلسي : الفصل في الملل والاهواء والنحل ط القاهرة 1347.
- حسين محمد الخضر : محمد رسول الله، ط . دمشق 1391/1971.

- خ -

- خالد محمد خالد : كما تحدث القرآن، ط 2 مصر 1385/1965.
- ابن خلدون عبد الرحمن: المقدمة ط مصر 1322.

- د -

- داسي صالح (بحث) العقيدة بين التحرر والالتزام (مج) الهداية ع 4 س 9 دائرة المعارف الاسلامية م 2 مادة الله، م 5 مادة التوحيد.

- ر -

- الرازي فخر الدين : مفاتيح الغيب ط 3 بيروت (بلا تاريخ).
- الرازي محمد بن أبي بكر : مختار الصحاح ط 1 لبنان 1967.
- ابن رشد (الحفيد) محمد بن أحمد القرطبي. - تهافت التهافت. ط بيروت 1930.
- مناهج الأدلة في عقائد الملة - تحقيق د. محمود قاسم ط . القاهرة 1955.

- س -

- سلامة موسى : هؤلاء علموني، سلسلة أقرأ ع 349 ط مصر 1973.
- السيوطي جلال الدين : الاتقان في علوم القرآن ط القاهرة 1324 هـ.
- الإكليل في استنباط التنزيل ط . بيروت (بلا تاريخ).

- ش -

- شلتوت محمود : الاسلام عقيدة وشريعة ط 2 (بلا تاريخ).
- الشهرستاني محمد : الملل والنحل ط مصر 1320 هـ .

- ط -

- الطبري (ابن جرير) : جامع البيان، 30 جزء ط 1 مصر 1329 هـ.

- ع -

- العابد محسن : مدخل في تاريخ الأديان، ط . تونس 1973.
- ابن عاشور محمد الطاهر : التحرير والتنوير، ط . تونس 1984.
- ابن عاشور محمد الفاضل : محاضرة خطية في تاريخ الأديان بتاريخ 67/11/15 بالكلية الزيتونية.

- عباس محمود العقاد : القرآن والانسان م 4 ط 1 بيروت 1971/1390.

- توحيد وأنبياء (الله) م 1 ط بيروت 1971.

- حقائق الإسلام وأباطيل خصومه م 5 بحوث إسلامية ط بيروت 1971/1391.

- عبد الباقي محمد فؤاد : المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم، ط دار الفكر 1981/1401.

- العدوي محمد أحمد : دعوة الرسل إلى الله تعالى ط مصر 1935/1354.

- غ -

- الغزالي أبو حامد : المقصد الأسنى شرح أسماء الله الحسنى ط 1 مصر 1324 هـ.

- ف -

- الفاوي عبد الفتاح أحمد: الاسلام وطريق الدعوة إلى الله (بحث) بمجلة الوعي الاسلامي ع 257، جمادى 1، 1986/1406.

- فليب حتي : تاريخ العرب (مطول) (تر.) محمد مبروك نافع ط مصر 1949.

- ك -

- كارل بروكلمان : تاريخ الشعوب الإسلامية (تر.) نبيه أمين فارس ومنير البعلبكي ط 1 بيروت 1948.

- الكلبى هشام بن محمد: الأصنام ط القاهرة 1914.

- م -

- ابن ماجة أبو محمد عبد الله : السنن (الكتب الستة) ط . استنبول 1981/1401.
- المارغني إبراهيم : حاشية على بغية المريد لجوهرة التوحيد ط 2 تونس 1938/1357 م.

- مجمع اللغة العربية : معجم ألفاظ القرآن الكريم.

- محمد زكي صالح: الترتيب والبيان عن تفصيل أي القرآن ط بغداد 1979/1399.

- محمد يوسف موسى: بين الدين والفلسفة، ط مصر 1959.

- مسلم (لم يصرح باسمه) : الفلسفة المادية (بحث) (مج) منار الإسلام ع 9 س 6 . 1981/1401 .

- مصطفى محمود : الله والانسان (مجموعة مقالات) كتبت سنة 1955.
- الله : (دراسة كتبت) سنة 1971.
- ابن منظور : أبو الفضل جمال الدين مكرم : لسان العرب ط بيروت 1956/1955.

- ن -

- النسفي أبو البركات عبد الله بن أحمد : العقائد النسفية ط مصر 1321.
- ابن هشام أبو محمد عبد الملك : السيرة النبوية ط 2 مصر 1955.

- م -

- ويل ديورانت : قصة الفلسفة (تر) أحمد الشيباني ط 2 بيروت 1965.

- ي -

- اليعقوبي أحمد بن إسحاق : تاريخ اليعقوبي ط النجف 1358 هـ.

بقية البحث

صالح داسي